المراحل التاريخية للتـــخطيط العمراني في مدينة كربلاء

Historical Phases of the Architectural Plan for Karbala City

أ.م.د. رياض كاظم سلمان الجميلي
جامعة كربلاء
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم الجغرافية التطبيقية

Asst.Prof. Dr. Riyadh K. S. Al-Jumeili
University of Karbala
College of Education for Human Sciences
Applied Geographical Department

... ملخص البحث ...

خلص البحث الذي تناول المراحل التاريخية لوضع التصاميم والمخططات الأساسية لمدينة كربلاء منذ تأسيسها حتى الوقت الحاضر نتائج عدة أهمها ان الوضع العمراني مر بالعديد من الإصلاحات التي طبقت على أرض كربلاء لضبط عمليات نموها وتوسعها العمراني، فقد وضعت العديد من الخطط العمرانية للمدينة عبر تاريخها الطويل كان أبرزها إصلاحات الوالي العثماني مدحت باشا خلال القرن الثامن عشر كونها فتحت الباب أمام توسعات مستقبلية جديدة شهدنها المدينة خلال تاريخها العمراني الطويل ونقلت المدينة من بنيتها الحضرية القديمة إلى بنية تتسم بالحداثة والتخطيط، أما على صعيد التاريخ الحديث فقد وضعت مؤسسة دوكسيادس اليونانية في نهاية خمسينات القرن المنصرم تصميما حضريا جديدا للمدينة اخذ على عاتقه استيعاب جميع متغيرات المدينة وعناصرها المكانية والسكانية والتخطيطية تلته العديد من التعديلات التخطيطية التي أجريت على مركز المدينة وتحديد محاور نموها المستقبلية.

...Abstract...

The research deals with the historical processes for drawing up the elementary designs and plans of Karbala City since its establishment until present. The city also passed through many architectural reformations to control its development and growth processes. The Ottoman ruler, Madhit Pasha's reforms were considered the most important designs to the city in the eighteenth century. Since such plans paved the way for new future growth that the city witnessed throughout its long architectural history. It also transferred the city from its old civilian construction to modern planning. Concerning the modern history, the Germanic Doxidas Association puts a new design for the city in the late fifties of the last century. Such designs took all the city changes and its planning, spatial and population elements followed by a number of planning modification that were applied to the city centre as well as limiting the future growth fields into consideration.

... المقدمة ...

إن ما تمتاز به المدينة بوصفها كياناً مادياً تبلور عبر مراحل تاريخية-عمرانية مختلفة تحمل دلالات عمرانية وحضارية متنوعة اكتسبتها عبر مراحل نموها العمراني المعقد، فالتاريخ العمراني للمدينة بات يشكل في أدبيات التخطيط الحضري علامة مهمة يستوحي منها المخطط الطرق التقليدية المعمارية التي تكونت من خلالها المدن التي غالباً ما يفرزها تفاعل جملة من العوامل مر بها هذا التاريخ اقتصادية كانت أم اجتماعية أم جغرافية وحتى سياسية، الأمر الذي جعل من المدينة ونسيجها الحضري يتكيف مع مثل هذه المعطيات والظروف المكانية والسكانية التي عاشت في ظلها، وفي وقتنا الحاضر تطورت مثل هذه الأساليب والطرق التي نتعامل بها مع واقع بيئاتنا الحضرية ضمن مسميات مختلفة كأساليب التخطيط الحضري والعمراني ووضع المخططات والتصاميم الأساسية للمدن والمشاريع العمرانية والخدمية الكبيرة وغيرها من الأساليب التي تضمن لنا تعاملاً دقيقاً مع البيئة الحضرية التي نعيش فيها والتي مثلت الخيار الوحيد لبني البشر كبيئة تجمعهم وتحقق جميع أحلامهم ومنجزاتهم الحضارية.

وبالرجوع الى تاريخ تخطيط المدن ومعرفة المحاولات الأولى لوضع المخططات الأساسية للمدن فقد برع أهل الشرق في إدراك المفاهيم الأولية لتخطيط مدنهم ولعل الإنسان العراقي القديم أول من ترجم هذه المحاولات على ارض الواقع في عمليات تخطيط مدنه في أور وبابل ونيبور والوركاء وغيرها التي تأثر تخطيطها

بالعديد من العوامل الإدارية والسياسية والدينية استمرت المحاولات الرامية لتطوير الحياة الحضرية في المدن بحلول عصر ما بعد الصناعة ودخول الأساليب التكنولوجية التي زادت من قدرة الإنسان في التعامل مع أساليب حياته من جانب وزادت من تعقيد مواجهة مخاطره المحدقة مما حفزته مليا في السعي نحو التفكير الجاد للوصول إلى التعامل المناسب مع حياته الحضرية من جانب آخر، فاخذ يطور النماذج والإشكال والمخططات العمرانية سعيا منه للوصول للشكل الملائم الذي يجب أن تكون المدينة عليه.

ومن هنا جاءت محاولة البحث للوقوف على ابرز المخططات العمرانية التي وضعت لمدينة كربلاء ذات الإرث الديني من خلال مشكلة البحث التي تكمن في التعرف الجدي لابرز الأفكار والمخططات العمرانية التي نفذت على ارض كربلاء وإمكانية تحليل ظروفها الموضوعية ومدى ملاءمتها مع واقع المدينة الجغرافي والسكاني والتخطيطي، من خلال صياغة فرضية للبحث مفادها أن جميع المحاولات التخطيطية التي نفذت على مدينة كربلاء من نشأتها حتى الوقت الحاضر أسهمت بشكل واضح في تطوير الحياة الحضرية في المدينة من خلال تلبيتها للعديد من متطلباتها الاجتماعية والاقتصادية والحضرية، لذا فقد ركز هدف البحث على الكشف عن طبيعة الظروف الموضوعية التي راعاها المخطط والتي أنتجت مثل هذه النماذج المعمارية والصور التخطيطية التي اتخذتها مخططات المدينة الأساسية وصولا الى المخطط العمراني الحالي الذي تعيش بكنفه المدينة في الوقت الحاضر، وقد تم مناقشة ذلك خلال مبحثين أساسيين الأول ناقش المفاهيم الأساسية للتخطيط العمراني المتبع في العراق أما المبحث الثاني فتطرق الى أهم المخططات الأساسية التي وضعت للمدينة عبر التاريخ.

المبحث الأول

التخطيط العمراني مفهومه ووظائفه وتطبيقاته في العراق

أولا: مفهوم التخطيط العمراني

يمكن عدّ مفهوم التخطيط planning من المفاهيم الإنسانية المبكرة التي اكتشفها الإنسان منذ القدم، ويعود هذا الاكتشاف الى مراحل مبكرة من وجود الإنسان وصراعه مع الطبيعة وهناك شواهد مقنعة تثبت علاقة الإنسان بالتخطيط، فقد سعى الإنسان قديما الى تأمين حاجاته اليومية اعتمادا على بيئته المحلية واستغلاله للكهوف والمغارات الجبلية طلبا للحماية والطمأنينة من أخطار الطبيعة وخزنه المواد الغذائية الفائضة عن حاجته ومن ثم نزوله الى المناطق السهلية لممارسة الزراعة، كل هذا يعد أدلة على كونه خلق مخططا بنفسه، وقد استعان بجميع تجاربه الطويلة لتطوير غرائزه الذاتية عبر مراحل تطوره العقلية وتجاربه الحياتية.

ولعل ما يميز إنسان اليوم تاريخيا عما مضى هو مقدار ما يمكن الاستعانة به من الأفكار ووضع الخطط وهندستها وتطويرها لتكون أكثر ملاءمة مع متطلبات واقعه المتغير، وقد سعى الإنسان جاهدا في تطوير العلوم والخبرات التخطيطية الى فروع متنوعة لعل أبرزها ما يهتم بدراسة المستقرات البشرية وتحسين نوعية الحياة فيها بطرق مدروسة وضمن اطر زمانية ومكانية معينة وهو ما يعرف اليوم بالتخطيط

الحضري urban planning[1] ويستهدف التخطيط الحضري بيئة المدينة الوظيفية والسكانية والمكانية ويحاول تنظيم عمل جميع متغيراتها وصولا الى خلق أفضل البيئات الحضرية القادرة على خدمة السكان بطرق مختلفة، وعلى الرغم من صعوبة تحديد البداية الأولى لوضع أول خطة عمرانية في العالم ألا أنه يمكن القول ان مدن الشرق الأولى وتحديداً في بلاد ما بين النهرين جرت أولى المحاولات التخطيطية للمستوطنات العراقية القديمة ما يقرب عن ٣٥٠٠(ق.م) إذ أثبت الدلالات الأثرية أن مدن اور واريدو والوركاء في جنوب العراق اول المدن المخططة في العالم على الأرجح[2].

ومن هنا يمكن تتبع إدراك الإنسان لأهمية التخطيط الحضري لمستوطناته العمرانية الأولى التي كان ينظر إليها بأنها البيئة الأمثل التي يمكن ان تضم جميع موارده وتطلعاته المستقبلية فوضع الخطط والمرتسمات والأشكال الهندسية للسيطرة على حركة المدن وتنظيمها وتحديد مستقبلها وتشكل مبادئ التخطيط العمراني للمدن ضرورة ملحة في عالمنا اليوم تفرضه تعقيد ظروف المستقرات الحضرية ونموها وتضخمها المستمرين بأشكال مختلفة من ناحية، وما تفرضه الحاجة البشرية الملحة للاستقرار الحضري الدائم من ناحية أخرى، واعتقاد العقل البشري بضرورة الأخذ بجميع الخطوات المنطقية لمعالجة تلك المشاكل الأمر الذي أسهم في تطوير أدبيات التخطيط العمراني وأساليبه بشكل مستمر.

ثانيا: وظائف التخطيط العمراني

يمكن حصر ابرز الوظائف الأساسية للتخطيط العمراني في المدن بما يلي:

١. ضمانة وضع التصاميم الأساسية للمدن للسيطرة على نموها وتخطيط وظائفها

٢. ربط المدينة حضريا واقتصاديا بإقليمها لضمان تفاعلها المستمر بالإقليم.

٣. تطوير المراكز الخدمية والمناطق الوظيفية في عموم المدينة وخلق فرص مثالية لتقديم الخدمات بأنواعها لسكان المدن والمناطق المخدومة الأخرى.

٤. تحسين نوع البيئة السكنية للمدينة وتخطيطها بالشكل الذي يؤمن لساكنيها ظروفاً صحية وبيئية مقبولة من حيث المساحة والوظيفية.

٥. يسعى التخطيط الحضري إلى جعل المدينة مركزا مهما لتقديم الخدمات التحتية (الماء، والكهرباء، والصرف الصحي، والاتصالات والوقود) والخدمات الفوقية (المؤسسات الحكومية الصحية والتعليمية والترفيهية) لسكان المدينة وأقاليمها الوظيفية.

٦. ربط المدينة بشبكة من طرق النقل والمواصلات الحديثة مع المراكز الحضرية المجاورة والأقاليم الوظيفية الأخرى التي ترتبط بها المدينة بمجموعة من العلاقات والروابط الإقليمية ذات المردودات الداعمة للأساس الاقتصادي لها.

ثالثا: تطور مفهوم التخطيط العمراني للمدن العراقية الحديثة

يعود تخطيط المدن في العراق الى زمن مبكر جدا، فقد أثبتت التحريات والبحوث الاثارية التي أجريت في عموم مناطق العراق عن توفر أدلة قوية على وجود مستوطنات أولية سكنها العراقيون القدامى تعود الى ما قبل العصر الحجري

كما يبدو، وأثبتت حملات التنقيب والمسوحات الكشفية التي أجريت في العراق خلال الربع الأول من القرن الماضي ان اغلب جهات العراق كانت مزدهرة بالحياة المدنية وتحديدا على مجاري نهري دجلة والفرات والمناطق المحيطة بهما ولم يقتصر الأمر على المناطق الرطبة فحسب وإنما امتد ليضم جهات أكثر تصحرا مثل صحراء الرطبة ومنطقة الرزازة – الاخيضر غرب كربلاء حاليا وتحديدا في مناطق طار الجمل وحفنة الأبيض وقصر الاخيضر وغير بعيد عنها منطقة كهوف الطار[٣] وهذا ما يؤكد أن موضع كربلاء الحالي كان مزدهرا بالحياة المدنية قديما، ويؤكد بعضهم وجود (معبد) في كربلاء يعود الى العصر البابلي الأول تدفن بجواره جثث الموتى في اواني الفخار والخزف تم العثور على بعضها غرب موضع المدينة الحالي.[٤]

الأمر الآخر الذي يؤيد بوجود الحياة المدنية في كربلاء قديما هو ما نعتت به المدينة من تسميات مختلفة أطلقت عليها خلال تاريخها ومنها (كاربيلا، كوربابل، كرب ايل، كاربالا) التي حملت المنطقة معانيها المختلفة عبر التاريخ وحتى التسمية (كربلاء) فترجعها بعض الأدلة الى أصول غير عربية وهذا ما يقودنا الى نتيجة مهمة مفادها أن هناك أقواما متعددة تعاقبوا على أرضها لذا نعتوها بمسميات متعددة كل بحسب الحقبة التاريخية التي عاشها.

ويبدو أن أفول الحضارة البابلية في العراق اثّر بشكل كبير على الحياة المدنية في كربلاء التي باتت تشكل اليوم جزءا من تراث العراق الحضاري، وما أن جاء الإسلام حتى تمصرت كربلاء وتحديدا بعد واقعة الطف المشهورة سنة ٦١هـ بعد استشهاد الأمام الحسين بن علي عليه السلام و أهل بيته وصحبه ودفنهم في هذه البقعة الطاهرة التي أصبحت فيما بعد النواة الأولى لنشأة المدينة[٥].

فيما يخص تتبع مراحل تطور التخطيط العمراني الحديث في العراق الذي تعود بوادره الى العصر العثماني إذ أنشئت الدوائر البلدية في كل بلدة ومدينة عراقية، استبدلت بها المجالس البلدية في المدن خلال الاحتلال البريطاني للعراق و يقع على عاتقها إدارة الأمور البلدية وتم تشكيل أول قسم لتخطيط المدن في مديرية البلديات العامة التابعة آنذاك لوزارة الداخلية في الثلاثينات.[٦]

ولم تكن مهام تخطيط المدن في العراق حتى بداية الخمسينيات من القرن الماضي سوى إعداد مخططات للطرق العامة وتحديد اتجاهاتها المكانية مع إفراز الأراضي المخصصة للسكن وبعض التشريعات اللازمة لذلك، أما خلال الخمسينيات فقد شرع العراق بوضع المخططات الأساسية لمدنه إذ تم إعداد التصاميم الأساسية لثلاث مدن عراقية (بغداد، الموصل، البصرة) بالتعاون مع بعض الشركات الأجنبية وهي:

١. شركة مونوبريوسبنسلي، ومكفارلن لتخطيط مدينة بغداد عام ١٩٥٤.
٢. شركة ريكلانسكواير وشركائه لتخطيط مدينة الموصل عام ١٩٥٥.
٣. شركة ماكس لوك لتخطيط مدينة البصرة عام ١٩٥٥.

وأوكل للشركة اليونانية دوكسيادس للمدة بين (١٩٥٥ – ١٩٦٢) إعداد مخططات للعديد من المدن العراقية في مقدمتها (كربلاء، الكوفة، النجف، كركوك، اربيل، العمارة، الديوانية، الرمادي، السليمانية، بعقوبة والناصرية) امتازت مخططات دوكسيادس بفلسفة روحية وواقعية في التخطيط وبشوارع مستقيمة تتقاطع بشكل متعامد، أما خلال الستينيات وتحديدا عام ١٩٦٥ تم تقسيم العراق إلى ثلاثة أقاليم تخطيطية شمالي ووسط وجنوبي وضعت مدينة كبرى لتكون مركزا لكل إقليم إذ

اعتبرت البصرة مركزا لإقليم الجنوب وبغداد لإقليم الوسط والموصل للإقليم الشمالي اعتمد العراق الأساليب التخطيطية بنمط تدريجي لذا فقد كانت المخططات التطويرية العمرانية تقسم على ثلاثة أنماط:[٧]

١. مخططات على مستوى العراق
٢. مخططات على مستوى إقليم ضمن العراق
٣. مخططات على مستوى محلي ضمن الإقليم الواحد

فيما شهدت السبعينيات تطور العمل بإعداد المخططات الأساسية لجميع مدن العراق بكوادر عراقية فقد أعدت وزارة البلديات أكثر من (٣٠٠) مخطط عمراني لمدن وبلدات عراقية تراوحت حجومها بين (١٠٠٠- ٢٠٠٠٠٠ نسمة) وقد ساعدت هذه الفترة في ظهور بعض ملامح التخطيط والتصميم الحضري وإعداد دراسات تفصيلية متخصصة شملت بعض مراكز المدن مثل (النجف الاشرف، والديوانية، والبصرة واربيل) مع إعداد دراسة تفصيلية لمشروع تطوير المنطقة الواقعة بين المرقدين الشريفين في مدينة كربلاء[٨] وبذلك فقد تم وضع العديد من المخططات العمرانية لمدينة كربلاء في العصر الحديث ابتداء من مخطط شركة دوكسيادس عام ١٩٥٨ وهو أول مخطط حديث وضع للمدينة تلاه مخطط عام ١٩٧١ ثم مخطط عام ١٩٧٧ ثم ١٩٧٨ وغيرها من التصاميم الأساسية التي سوف نتطرق لها بشيء من التفصيل في المبحث الثاني.

رابعا: متطلبات تخطيط المدن الدينية في العراق

الدين ظاهرة إنسانية عرفها الإنسان منذ القدم وقد ظلت الحياة البشرية عبر

مسيرتها التاريخية تحترم الأديان وتعتقد بها، وان كل دين له مظهران أساسيان من الممارسات الجمعية وهي العقائد التي تمثل الجانب النظري للدين والعبادات التي تمثل الجانب العملي منه.(٩)

لذا فقد مارس الدين الإسلامي تأثيرا مباشرا على طبيعة المجتمع وحياته وثقافته في الشرق الأوسط منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا، فالإسلام يسيطر على كل أوجه الحياة وصار ينظر إلى المدينة في العالم الإسلامي على أنها مدينة مسلمة لأن الإسلام من أكثر الأديان المشجعة على إقامة المدن فهو نشأ في المدينة وقد تأثرت المدينة العربية الإسلامية بمورفولوجيتها وبنظامها الحضري بطقوسه وعباداته.(١٠)

والعراق واحد من البلدان العربية الإسلامية الذي يحظى بمكانة دينية مرموقة لكونه يضم العديد من الأمكنة الدينية والمساجد والعتبات المقدسة والمتاحف والآثار الإسلامية التي كونت له إرثا تراثيا وحضاريا فضلاً عن أن اغلب مدنه ذات طابع إسلامي كمدينة بغداد والبصرة والنجف وكربلاء وسامراء أسهمت بشكل كبير في ترسيخ مفهوم السياحة الدينية relegional Tourism فيه وجعلته من البلدان التي تستقبل السياح الأجانب على اختلاف أماكنهم.

فأصبحت المدن الدينية العراقية لاحتوائها على مشاهد مختلفة من المزارات والمراقد والأماكن التاريخية ذات الجذور الدينية نمطا حضريا مهما يحمل خصوصياته الدينية وله طرقه المختلفة للحفاظ عليها كالشعائر(١١) لذا يمكن اعتبار هذا النوع من المدن يحمل خصوصية تختلف عن بقية المدن الأخرى، فالتعامل معه في مجال التخطيط يتطلب دقة عالية ودراية كافية بجميع متطلباته الوظيفية والمكانية فهذا النوع من المدن يستقطب أعدادا غفيرة من السكان والسواح لزيارة آثار المدينة والاطلاع على

معالمها الأمر الذي يعرض منظومة خدماتها الارتكازية وجميع مؤسساتها الوظيفية لضغط المستهلكين المباشر لذا يجب مراعاة هذه المتطلبات المكانية من فضاءات فارغة وساحات عامة وخدمات السكن والإيواء وسهولة النقل والحركة فضلا عن الحفاظ على الجوانب الأمنية للسكان الزائرين وتقديم مختلف الخدمات الأساسية لهم من ناحية وضرورة الحفاظ على هوية المدينة الدينية وموروثها التاريخي الذي نشأت لأجله من ناحية أخرى، كل هذه المتطلبات التخطيطية يجب مراعاتها من خلال طبيعة الخطط العمرانية الموضوعة لها حاضرا ومستقبلا التي يجب أن يتضمنها التصميم الأساسي للمدينة بجميع أبعاده المكانية والتخطيطية.

خامسا: ضرورة وضع التصاميم الأساسية للمدينة

يوضع التصميم الأساسي Master Plan للسيطرة على نمو المستوطنات واستيعاب جميع متغيراتها الحضرية – الاقتصادية – الاجتماعية بما في ذلك العوامل الحضارية والتكنولوجية الحادثة والطارئة والمتوقع حدوثها في المستوطنة ويخلق نوعاً من التعايش السليم والمنظم بين المدينة وسكانها وبين الخدمة ومستهلكيها وبين السكان وبيئتهم بالمستوى المقبول والمسيطر عليه.

فمن دون التصميم الأساسي لا يمكن أن نتوقع – ولو بشكل نسبي – توسع المدينة وزيادة رقعها الحضرية وتضخمها السكاني ومدى استجابة قطاعاتها الحضرية لهذه الزيادة السكانية والتوسع العمراني، وبمعنى أدق تحديد مقدار الخدمة المقدمة للمستهلك في محل سكناه وصولاً إلى الملاءمة السكنية داخل قطاعات المدينة ورسم الصورة المستقبلية للمدينة بجميع قطاعاتها وفعالياتها.وهنا تكمن الأهمية الحقيقية

للتصميم الأساسي ومدى مشاركته في الكشف والتنبؤ المستقبلي عن أحوال المدينة حاضراً ومستقبلاً هذه الصورة التي تمثل غاية الأهمية في معرفة نمو الخصائص الحضرية للمدينة بشكل يسيطر عليه المختصون وكذلك يمكن مراجعة أخطائه وإمكانية إجراء عمليات التقويم لجميع مراحله التفصيلية الدقيقة بالشكل الذي يجعله ينسجم مع متغيرات المدينة المكانية بكل ما يحمله هذا المفهوم من مدلول.

لقد صور العديد من المختصين التصميم الأساسي بأنه لبوس المدينة الذي إذ ما كبرت عليه المدينة لزمها لبوساً جديداً يلائم مع حجمها الجديد. وهناك من يضيف جملة من الواجبات التي يجب ان يتضمنها التصميم العام للمدينة أبرزها:[١٢]

١. تحديد نوعية استعمالات الأراضي الواجب توفرها في المدينة وتعيين حصة كل فرد ساكن بداخلها على أساس النوعية والمساحة.

٢. منظومة الخدمات اللازمة لهذا التجمع العمراني وهذه الخدمات يلزم تحديدها كما ونوعا مع مراعاة ما هو قائم منها بالنسبة لعمليات إعادة تخطيط التجمعات العمرانية القائمة وان يتناسب توزيعها وتدرجها الهرمي مع التدرج الهرمي لتركيب المدينة عضويا وسكانيا.

٣. تحديد التوسع المستقبلي للمدينة ومعرفة طبيعة اتجاهاته المكانية ومعرفة مقدار الاستعمالات الحضرية المحتملة والكشف عن طبيعة العوائق المحددة للنمو وتحديد وجهة البدائل.

٤. شبكة المرافق العامة إذ يلزم من المخطط الجديد أن يوضح توزيع شبكات البنية الأساسية للمدينة من شبكات المياه الصالحة للشرب ومشاريع الصرف

الصحي والكهرباء والاتصالات.

٥. التوزيع الجغرافي للسكان وما يتعلق بذلك من توزيع الكثافات السكانية على أساس القطاعات أو المجاورات السكنية المتدرجة.

٦. التشكيل البصري للمدينة الذي يرتبط بتوزيع الهيكل العمراني وحركته داخل بنية المدينة المرتبط بالنظر والإحساس بعناصر المدينة المورفولوجية التي تحمي المدينة من حدوث تشويه حضري أو ما يعرف بالتلوث الحضري.

٧. التنبؤ بمستقبل الاستعمالات الحضرية في المدينة والتحسب لأي طارئ وتحديد نوع المشاكل المحتمل حدوثها في سياسات التصميم الأساسي.

المبحث الثاني

الجذور التاريخية لتخطيط مدينة كربلاء عمرانيا

الخطة الأولى لمدينة كربلاء

يستفاد من خطة المدينـة في الدراسات الحضرية في تحديد عناصرها المورفولوجية ومراحل تطورها التاريخية بالشكل الذي يجعل من خطة المدينة بمثابة سجل تاريخي للتطور المديني الذي شهدته المستوطنة الذي يعكس في الوقت نفسه جملة التطورات الاجتماعية والتخطيطية والعمرانية التي وجدها الإنسان على أرضها كما يفسر أحياناً مدى قابلية الإنسان في التكامل الحضري مع بيئته الجديدة.

وتجدر الإشارة هنا انه لا بد من تأكيد حقيقة جغرافية هي عدم وجود تجمع عمراني في موضع مدينة كربلاء قبل عام (٦١هـ - ٦٨٠م) وإنما تناقلت المصادر التاريخية عن وجود نوع من التجمعات الأولية المتناثرة بالقرب من الواحات وطرق نقل القوافل التجارية القريبة من المنطقة على شكل قرى يسكنها البدو يزاد على ذلك وجود بعض التجمعات الزراعية على نهر العلقمي الذي كان يمر بالقرب من موضع المدينة الحالي الذي شجع بعض القرى القريبة على ممارسة الزراعة بدلا من حياة الترحل في الصحراء.

إذن التاريخ الحضري لمدينة كربلاء بدأ بعد واقعة الطف واستشهاد الإمام

الحسين عليه السلام فيها والمدة الزمنية التي تلتها التي تجاوزت خمسة أعوام متتالية أي في بداية سنة ٦٨٥م بعد أن تثبتت العلامات الأولى للقبر الشريف وأصبح معروفاً لدى محبيه وأنصاره، ومن هذا العام بدأت النواة الأولى للمدينة تبدأ بالتشكل والظهور بعد أن أصبحت مركزاً لجذب القبائل المترحلة للسكن بجواره والاستفادة من توافد المسلمين نحوه بشكل يكاد يكون مستمراً وقد استمرت هذه المرحلة العمرانية الأولى بظهور بعض السكن الملاصق للقبر والكثيف في بعض الأحيان.

لا يمكن فهم تخطيط المدينة وبنائها المعماري الذي يبرز هويتها ما لم يتم الوقوف على سجل تطور تاريخها العمراني وطبيعة الأدوار التي اتخذتها عبر سجلها السياسي والإداري، إن دراسة أية مدينة إسلامية يتطلب أن نضع بالحسبان أن الإسلام ونظمه وأحكامه هو المحور الأساسي الذي يحرك حياتها الاجتماعية والسياسية فضلا عن شكلها المادي وهيأتها وعليه فإن المدينة العربية الإسلامية ومنها مدينة كربلاء قد مرت بعدد من المراحل العمرانية من أهمها: [١٣]

١. مرحلة الظهور والنشأة

وتعد هذه المرحلة من أطول المراحل المورفولوجية التي مرت بها المدينة العربية على وجه العموم، كونها يشوبها كثيرٌ من الغموض والإبهام لعدم توفر الموروثات المادية على مستوى التخطيط والتشكيل.

وبالرجوع إلى تاريخ مدينة كربلاء التي تتميز بموقع جغرافي مهم، اكتسب أهمية كبيرة منذ القدم، وتعود البدايات الأولى لنشأة مدينة كربلاء إلى مرحلة زمنية ليست بطويلة قبل واقعة الطف باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام على أرضها عام ٦١هـ بدأت

المدينة بالظهور وكان نواتها الأولى قبر الإمام الحسين عليه السلام إذ أقام عليه المختار بن أبي عبيدة الثقفي حاكم الكوفة قبة صغيرة من الآجر والجص وهو أول من بنى مرقد الإمام الحسين وشيده سنة (٦٥هـ - ٦٨٥م) وأصبح القبر فيما بعد النواة الأساسية الذي نمت حوله المدينة على شكل مساكن صغيرة متناثرة وبقيت هذه الحالة حتى أصبحت مأهولة بالسكان والدور.

وتعد هذه المرحلة من أهم المراحل المورفولوجيه في حياة المدينة لأنها تمثل البداية الأولى لنشأتها ونموها التي تعلن عن نهاية عهد كانت فيه هذه المنطقة مبعثرة السكن في أودية الصحراء وبداية عهد جديد نشأت على اثر تجمع السكان حول نواة جديدة هي موضع قبر الحسين عليه السلام.

ويمكن القول إن نشأة المدينة وتطورها مرتبط ارتباطا وثيقاً بعمارة المرقد فإن أية عمارة تطرأ على المرقد تترك أثرها الإيجابي في المدينة وبالعكس، فقد تعرض مرقد الإمام الحسين عليه السلام إلى عمليات إعمار متعددة على مر التاريخ بدأت أولها سنة (٦٨٤م) شيدت خلالها قرية صغيرة تحيط بقبر الحسين عليه السلام وكانت مجموعة من البيوت الصغيرة مبنية من الطين وجذوع النخيل، أخذت هذه القرية بالنمو التدريجي طول سبعين عاماً حتى انهيار الدولة الأموية سنة (١٣٢هـ - ٧٥٠م) وقيام الدولة العباسية، وفي العام نفسه أخذت مدينة كربلاء تنمو بشكل أسرع مما كانت عليه في أيام الأمويين.

واتسعت عملية تشييد الدور والمساكن حول المرقد بفعل العامل الديني إذ أصبحت المدينة فيما بعد مركزاً لجذب السكان للاستيطان حول المرقد ولاسيما في مدّة خلافة المأمون العباسي الذي عمر المرقد سنة (١٩٣هـ - ٨٠٩م)، إلا إن المدينة

تعرضت إلى نكسة عمرانية كبيرة في زمن خلافة المتوكل العباسي سنة (٢٣٦هـ - ٨٢٠م) الذي أمر بهدم قبر الحسين وما حوله من الدور ومنع الناس من زيارته، أثرت هذه النكسة العمرانية في تشكيل المدينة من الناحيتين التخطيطية والاجتماعية لما لحق بالمساكن والمحال التجارية من خراب دام طول مدة خلافته، إلا أن المدينة تنفست الصعداء بعد تولي ولده المنتصر بالله الخلافة (٢٤٧هـ - ٨٦١م) الذي أمر بإعادة بناء المرقد والدور والمحال التي بجواره، ولم يمض قرنان من الزمن حتى نمت حول قبور الأئمة مدينة صغيرة تضم آلاف السكان[١٤] وبفعل الاستقرار والطمأنينة الذي شهدته المدينة خلال عملية تشييد أول سور للمدينة الذي يحيط بالمرقدين وما حولها من الدور سنة (٣٧١هـ - ٩٨٢م) ازدهرت المدينة وأنشئت فيها الخانات والأسواق، أخذت المدينة الشكل الدائري المحيط بالمرقد.

وفي سنة (٤٧٩هـ - ١٠٨٧م) أعيد تعمير سور المدينة في عهد السلاجقة وازداد الجانب العمراني للمدينة تطوراً في القرنين السابع والثامن الهجريين ولاسيما أيام الجلائريين ويتضح من خلال هذه المرحلة المهمة في حياة المدينة بروز العديد من الأشكال العمرانية المهمة التي طغت على مظهرها الخارجي، وأهمها النواة التي تتمثل في مرقد الأمام الحسين عليه السلام يرافقها شبكة من المسالك والطرقات الملتوية التي تربط الدور والمساكن بنواة المدينة الأم التي لا تنفصل عنها مهما كلف الأمر، مما يعكس الطبيعة العضوية لمورفولوجية المدينة.

٢. مرحلة النمو

دخلت مدينة كربلاء مرحلة عمرانية جديدة بعد استيلاء الشاه إسماعيل

الصفوي على العراق سنة (٩١٤هـ - ١٥٠٨م) إذ شهدت المدينة توسعاً على يد الدولة الصفوية فأخذت المدينة تتوسع عمرانيا على شكل دائري حول قبور الأئمة وبعد سيطرة العثمانيين على العراق (٩١٤هـ -١٥٣٥م) وفي عهد السلطان سليمان القانوني حظيت المدينة باهتمام واسع وبذل هذا السلطان ما بوسعه للاهتمام بالمراقد الشريفة وأمر بشق نهر يروي المدينة وسمي (بنهر السليمانية) نسبة إلى اسمه والذي يسمى اليوم (بنهر الحسينية) وما زال يروي أراضي المدينة حتى يومنا هذا.

وخلال القرنين السابع والثامن عشر الميلاديين ظلت مدينة كربلاء محط صراع طويل بين الدولتين العثمانية والفارسية مما اثر سلبا في تطور المدينة، تعرضت المدينة إلى هجمة شرسة من الوهابيين عام ١٨٠١م الذين اقتحموا المدينة وهدموا أسوارها ونهبوا أسواقها واحرقوا المرقدين و على اثر هذه الحادثة أمر الحاكم العثماني في بغداد بتسوير المدينة بسور خاص لصد مثل هذه الهجمات وجعل له ستة أبواب وهي لا زالت معروفة في المدينة حتى الوقت الحاضر، بقي هذا السور قائما إلى أواخر أيام العثمانيين في العراق[١٥].

وفي عام ١٨٥٧ في عهد والي بغداد العثماني السردار عمر باشا بالاتفاق مع الحكومة البريطانية أصبحت المدينة سنجق (محافظة) تابعة لولاية بغداد عام ١٨٦٩ على إثره أجرى الوالي العثماني مدحت باشا إصلاحات عمرانية كبيرة في المدينة، فقام بتوسعة جديدة للمدينة خارج أسوارها لتظهر محلة جديدة أطلق عليها اسم العباسية الشرقية، ثم توسعت هذه المحلة إلى قسمين العباسية الشرقية والعباسية الغربية، وبذلك أصبحت مدينة كربلاء تقسم على قسمين، **القسم الأول**: القديم أو ما يسمى كربلاء القديمة، أما **القسم الثاني**: أو ما يسمى كربلاء الجديدة فهو القسم

الذي خطط في ولاية مدحت باشا عام ١٨٦٩ وبني بأسلوب هندسي بديع، ارتقت مدينة كربلاء إلى درجة المدن المتوسطة في العراق عام ١٨٨٠م بعد أن وضعت لها خطط لشوارعها وأحيائها ومحلاتها ثم ربطت بكافة المدن الصغيرة المجاورة.

يصف المدينة في هذه الفترة رئيس بعثة الآثار بنسلفانيا عام ١٨٩٢ بأنها مدينة مزدهرة توسعت خارج أسوارها القديمة وفيها الشوارع الواسعة والأرصفة المنظمة وبلغ عدد سكانها ٦٠ ألف نسمة، ومن خلال هذا التطور العمراني الذي قطعته المدينة اتضحت معالمها العمرانية بصورة أكثر وضوحا، استطاعت المدينة أن تتخلص من كيانها المادي (السور) وتتوسع خارجه معلنة بذلك خروجها من المورفولوجية العضوية الى التوسع المريح نحو الخارج.

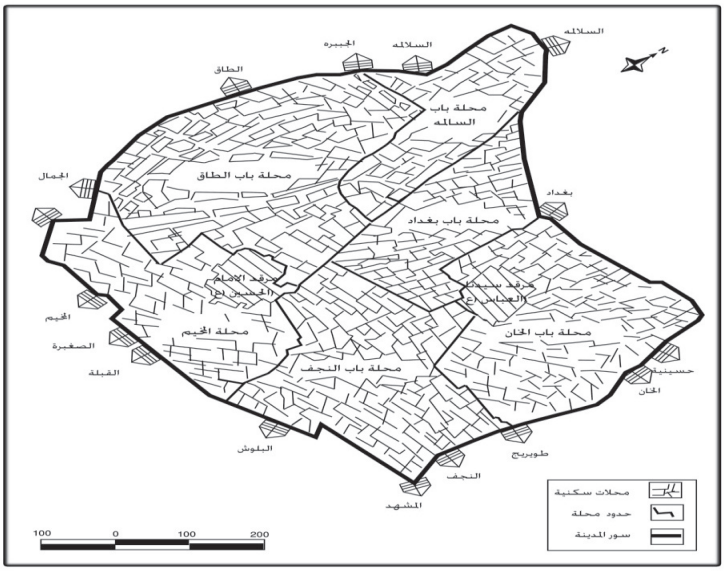

شكل (١) مدينة كربلاء في ظل أخر سور بني لها
المصدر:رياض الجميلي
نمو مدينة كربلاء وتطورها العمراني،مجلة جامعة كربلاء، المجلد٢، لسنة ٢٠٠٤

مرحلة النضج والاكتمال

تعد هذه المرحلة من المراحل المهمة في حياة المدينة وسكانها وخدماتها، لأن بنيتها تكاملت عمرانيا وبرزت خدماتها العامة إلى حيز الوجود والتخطيط بعد أن عانت كثيراً من الإهمال.

وتأتي أهمية هذه المرحلة كون العراق انتقل من سلطة الاحتلال الأجنبي (العثماني والبريطاني) وشهد قيام الدولة العراقية الحديثة عام ١٩٢١ إذ بدأ العمران في المدينة يأخذ منحى جديداً كسائر المدن العراقية الكبيرة إذ أدخلت أساليب جديدة في البناء وأنماط العمران وتغيرت في التصاميم وعناصر المفردات المعمارية الغربية لاسيما الأبنية التي استحدثت خارج حدود المدينة القديمة، فبدأت المناطق الجديدة من المدينة بالابتعاد عن الأزقة الضيقة والطرق الملتوية التي تميز بها الجزء القديم منها، مما شجع على زيادة عدد سكان المدينة بحسب تعداد ١٩٤٧ إلى (٤٤١٥٠) نسمة.

ربطت المدينة بفرع من خط سكة الحديد الذي يربط بغداد بالبصرة عام ١٩٢٣ بطول ٣٨,٥ كم عند اتصاله بالخط الرئيس الذي يمر بسدة الهندية لذا أنشئت محطة للقطار جنوب المدينة مما شكل عاملاً جديدا لتوسع المدينة الأمر الذي أدى إلى زيادة توسعها باتجاه الجنوب، ازداد من خلالها النمو السكاني السريع وتوسيع محلاتها السكنية، ففي نهاية الأربعينات تم توزيع الأراضي السكنية الجديدة في الجهات الغربية والجنوبية من المدينة لذا أنشئ حي الحسين سنة ١٩٥٨ جنوب المدينة وحي المعلمين في نهاية الخمسينيات تلاه حي العباس والسعدية والجمعية والأنصار حتى أصبحت مساحة المدينة تقدر في نهاية الخمسينيات بحوالي ٢٥كم٢.

وفي عام ١٩٥٨ وضعت مؤسسة دوكسيادس اليونانية مخططا لمدينة كربلاء الذي ضم مراحل تطورها العمراني لغاية سنة ٢٠٠٠ ولكن لم ينفذ منه إلا بعض الجوانب، امتازت مورفولوجية المدينة في غضون ستينيات القرن الماضي بمميزات تفوق المراحل المورفولوجية السابقة وبلا شك فان هذه المرحلة من أكثر مراحل المدينة أهمية وذلك لأنها حصيلة ما توصلت إليه المدينة من بنية عمرانية وسكانية وتكامل حضري تبلورت من خلاله خدمات المدينة التي شكلت جزءاً لايستهان به من استعمالاتها الحضرية المعاصرة.

اتسمت هذه المرحلة بالنمو السريع والتوسع الكبير الذي شمل محلاتها السكنية وزيادة عدد سكانها نتيجة التطور والنمو الاقتصادي الذي تعيشه المدينة لكون ركيزتها الاقتصادية قوية قائمة على نشاط تجاري وسياحي مرتبط ارتباطا وثيقا بالوظيفة الدينية التي تتمتع بها المدينة منذ نشأتها وحتى الوقت الحاضر استمرت المدينة بالتوسع باتجاه الجنوب الشرقي والشمال الغربي ومحاور نمو المدينة الحالية والمستقبلية حتى استوعبت جزءاً مهما من مخططها الأساسي الذي اعد لها لغاية سنة ٢٠٠٠ من جانب وما لتوجهات النمو الحضري ضمن أطار التنمية الشاملة التي اتبعتها الدولة في تلك المدة من جانب آخر[١٦].

بلغت مساحة المدينة في هذه المرحلة حوالي ٥٢كم٢ استحدثت أحياء سكنية جديدة كالوفاء والميلاد والتحدي والنصر والبناء الجاهز والأطباء والقدس والرسالة والأساتذة والمدراء وغيرها، واستمر شكل المدينة بالتغير والنمو خارج المركز التقليدي ليأخذ الشكل الأشبه بالشكل المفلطح تشقه الشوارع العريضة والمستقيمة التي تربط محلاتها السكنية ببعضها من جانب وبالمنطقة المركزية من

جانب آخر، وعليه فقد شهدت المدينة العديد من وضع الخطط العمرانية خلال هذه المراحل التاريخية يمكن اعتبارها خططاً مهمة غيرت من حياة المدينة وبنيتها الحضرية نوجز أبرزها بما يلي:

٢: ١: خطة الولي مدحت باشا سنة ١٨٦٩م

عرف الوالي العثماني مدحت باشا بأنه لم يكن كبقية الولاة العثمانيين الذين حكموا العراق طول خمسة قرون من عمر الإمبراطورية العثمانية بل كان واحداً من عظمائها، فقط اشتهر بولعه بمظاهر الحياة العمرانية والإصلاح المدني متخذاً من تقليد الحياة الأوربية سبيلاً لإصلاحاته وقد شهدت خلال مدة حكمه الكثير من المدن العراقية إصلاحات عمرانية ومدنية كبيرة مثل مدينة بغداد والناصرية وكربلاء وغيرها إذ استطاع أن يدخل للعراق مظاهر عمرانية جديدة[١٧] ومنها ما طبق في مدينة كربلاء التي زارها الوالي سنة ١٨٦٩م فأمر بهدم جزء من السور المحيط بها وتحديداً من جزئها الجنوبي والجنوبي الغربي لكي يفسح المجال أمام جميع الإصلاحات العمرانية الرامي إجراءها لتخفيف حدة الازدحام والكثافة العمرانية التي شهدتها المدينة في تلك المدة، فأحدث توسعاً عمرانياً جديداً على الطراز الحديث في التخطيط والعمران وأتاح للمدينة الخروج من عزلتها داخل السور وسمح لها بالتوسع نحو أجزائها الجنوبية بكل حرية[١٨].

وقد استطاعت هذه الخطة إنشاء محلتين جديدتين أضيفت إلى محلات المدينة القديمة هما محلة العباسية الشرقية والعباسية الغربية اللتان أسستا على نمط من التخطيط العالي ذي الشوارع العريضة والمستقيمة قياساً بمحلاتها القديمة. وقد جاء

التوسع العمراني الجديد استجابة لنمو المدينة والسكان معاً، وقد أتاحت المسافات العمرانية الجديدة الكثير من المتطلبات الخدمية للسكان وتلبية حاجتهم في السكن والنقل والخدمات والتعليم وغيرها.

اذ استطاعت خطة الوالي مدحت باشا أن تنقل مورفولوجية مدينة كربلاء من مرحلتها العمرانية الأولى التي قامت حول القبر الشريف بطريقة عشوائية وبكثافة سكانية عالية التي غابت عنها الكثير من المفاهيم التخطيطية الحديثة إلى مرحلة جديدة من التطور العمراني المخطط ذات الشوارع العريضة والمرافق الخدمية الجديدة التي استوعبت الكثافات السكانية العالية.

فضلاً عن كون هذه الإصلاحات الجديدة جعلت الباب مفتوحاً أمام خطط عمرانية مستقبلية تلتها بشكل مباشر من جانب وحررت المدينة من قيد الأسوار الذي قيدت بها ردحاً من الزمن لضرورات أمنية ووقائية من جانب آخر فقد تبع هذه الخطة الكثير من الإصلاحات التخطيطية في المدينة أهمها الاتساع الملحوظ في شبكة طرق النقل ووسائل الاتصال التي كان أبرزها مد خط سكة الحديد التي ربطت بغداد بالبصرة عام ١٩٢٣م التي كانت تمر بالجزء الجنوبي من مدينة كربلاء وقد وفرت مجالاً واسعاً للحركة والتمدد العمراني لكونها أصبحت مركزاً لجذب السكن والخدمات بشكل مباشر مما ساعد على توسع حضري أكبر للمدينة.

كما لحقه أصلاح في عام ١٩٣٥م تمثل في شق شارع الإمام علي عليه السلام الذي ربط محلات المدينة القديمة بالجديدة وكذلك شارع على الأكبر الذي ربط المرقدين ببعضهما الذي ساعد على فك الكثير من الاختناقات ومرور السابلة.

٢: ٢: مخطط مؤسسة دوكسيادس اليونانية ١٩٥٨

استعان العراق في تخطيط الكثير من مدنه وحواضره العمرانية بالعديد من الشركات المختصة بتخطيط المدن والمشهورة بوضع التصاميم الأساسية، وتعد المؤسسة اليونانية دوكسيادس من أشهر الشركات العالمية في مجال التخطيط العمراني والحضري فجميع الأعمال التصميمية والتخطيطية التي أجرتها المؤسسة في العراق حملت في طياتها فلسفة العمارة الأمريكية التي حاول تطبيقها في الكثير من محافظات مثل بغداد وأربيل وكربلاء[١٩].

ففي عام ١٩٥٦ عهد مجلس الأعمار العراقي إلى مؤسسة دوكسيادس وضع المخطط الأساس لمدينة كربلاء بعد أن تزايد عدد السكان والتوسع العمراني فيها، فقد أجرت المؤسسة المسوحات الميدانية والدراسات التفصيلية الدقيقة لجميع قطاعات المدينة ومؤسساتها الحيوية ثم وضعت المؤسسة تقريرها النهائي للوضع الحضري لمدينة كربلاء تضمن دراسة متكاملة ومقترحات ومجموعة توصيات وقعت الدراسة تحت عنوان (مستقبل مدينة كربلاء) وهي عبارة عن دراسة ميدانية مفصلة عن طبيعة الواقع الجغرافي والاجتماعي والسكاني والخدمي لمدينة كربلاء مزودة بخرائط موقعية تفصيلية.

ولقد أثبت مؤسسة دوكسيادس في وضع مخطط مدينة كربلاء على خط الزوايا القائمة التي توفر إمكانية إضافة امتدادات عمرانية جديدة مستقبلاً[٢٠] فعلى صعيد مقترحات السكن التي تقدمت بها المؤسسة لمدينة كربلاء كان الامتداد الحضري باتجاه الجهة الجنوبية الشرقية للمدينة المتمثل بظهور العديد من الأحياء السكنية الجديدة أهمها حي الحسين (شكل٢) كونه المحور الأكثر سهولة في توسع المدينة.

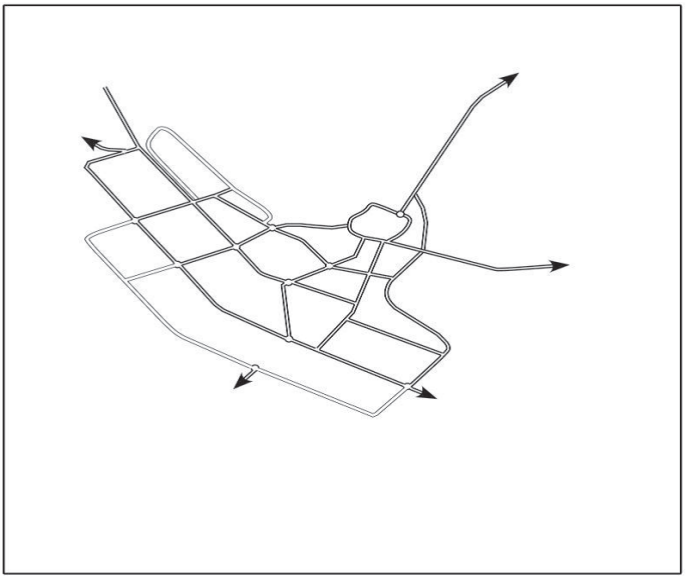

شكل (٢) مخطط وزارة الحكم المحلي عام ١٩٧١م
المصدر: المرجع السابق

أما على صعيد الزيادة السكانية فقد توقعت المؤسسة زيادة سكانية سريعة بسبب ارتفاع معدلات الهجرة السكانية.

أما على صعيد الخدمات فقد اقترحت الدراسة تحويل مركز المدينة التقليدي إلى مركز يضم الاستعمالات الدينية والثقافية دون غيرها، وأوصت بإلغاء جميع الملكيات الخاصة وتحويل سكانها إلى مناطق وأحياء سكنية جديدة.

٢: ٣: المخططات الأساسية التي أعدتها وزارة التخطيط

أعدت وزارة التخطيط العراقية والهيئات العامة التابعة لها العديد من المشاريع العمرانية والتصاميم الأساسية لأغلب المدن العراقية ومنها مدينة كربلاء خصوصاً

في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي وقد استندت هذه التصاميم إلى نتائج الدراسات الميدانية والمسح الحقلي التي أجرتها فرق بحثية متخصصة أهمها:

٢: ٣: ١: مخطط وزارة الحكم المحلي ١٩٧١م

قدمت الهيأة العامة للتخطيط العمراني التابعة لوزارة الحكم المحلي آنذاك مخططاً عمرانياً لمدينة كربلاء وقد تضمن هذا المخطط تعديلاً مهماً لبعض توصيات مؤسسة دوكسيادس وقد تضمن هذا المخطط هدفين أساسيين هما: **الأول**: تحديد اتجاه النمو العمراني للمدينة في محورين أساسيين الأول باتجاه الجنوب الشرقي للمدينة طريق (كربلاء – نجف) والثاني باتجاه الشمال الغربي (طريق بحيرة الرزازة). **الثاني**: التوسع الجديد للمدينة عن طريق إنشاء أحياء جديدة وإحداث توسع في الطرق السريعة التي تربط الأحياء السكنية بمركز المدينة.

٢: ٣: ٢: مخطط وزارة التخطيط

أجرت دائرة التخطيط والهندسة في آب ١٩٧٨ دراسة تخطيطية موسعة عن التطور العمراني والسكاني لمدينة كربلاء وضعت تحت عنوان (مدينة كربلاء دراسة ميدانية تحليلية لواقع الحال) واعتمد على نتائجها طول الثمانينات في توجيه النمو العمراني للمدينة وأكدت هذه الدراسة توجيه المخطط العام للمدينة باتجاه المحورين السابقين (طريق النجف) و (طريق الرزازة) كونها أفضل محاور التوسع العمراني نمواً[٢١]. وقد نفذت الجهات المسؤولة آنذاك توصيات هذا المخطط الحكومي عن طريق توزيع القطع السكنية على السكان، لذا ظهرت العديد من الأحياء الجديدة

كحي الموظفين الأولى والثانية والمعملجي والحر والأسرة غيرها حتى بلغت أحياء مدينة كربلاء السكنية أكثر من ٤٠ حياً أغلبها ضمن قطاع الجزيرة الذي أصبح المحور الجديد للسكن والتطور الحضري (شكل٣).

شكل (٣) القطاعات السكنية الرئيسة في مدينة كربلاء
المصدر: المرجع نفسه

أما المركز الديني التقليدي لمدينة كربلاء فقد شهد هو الآخر بعض الإجراءات التخطيطية الرامية إلى فك الازدحام والاختناقات التي شهدتها المنطقة المركزية برمتها ومحلاتها السكنية القديمة فعلى صعيد المشاريع والدراسات التي عالجت المركز التقليدي للمدينة نذكر بعضاً منها:

٣: ٢: ١: مشروع تطوير المرقدين الشريفين ١٩٧٧

وهو من المشاريع العمرانية العراقية الرائدة التي أجرتها وزارة التخطيط لمعالجة أزمات المنطقة المركزية لمدينة كربلاء والتي سعت إلى فتح طرق وشوارع رئيسة ومهمة في المدينة وظيفتها ربط وتأمين الاتصال بين المرقدين كون المسارات الرابطة بينهما لا تفي بالغرض بسبب ضيق مساراتها وتعرجها فضلاً عن انخفاض طاقتها

الاستيعابية للمارة والزوار وقد أستطاع هذا المشروع شق العديد من الشوارع المهمة التي ما زالت قائمة حتى الوقت الحاضر كشارع قبلة الإمام الحسين وشارع صاحب الزمان وغيرها من الشوارع الفرعية (شكل ٤)[٢٢].

شكل (٤) مشروع تطوير المرقدين الشريفين لسنة ١٩٧٧
المصدر: عقيل الملا حويش، العمارة الحديثة في العراق، مرجع سابق

٣: ٢: ٢: توسعة الحرمين عام ١٩٩١

خلال هذه المدة أنجز مشروعاً عمرانياً لمركز المدينة وتحديداً بعد آذار عام ١٩٩١، إذ نفذت دائرة التخطيط العمراني في وزارة الداخلية مشروعاً سمي مشروع تطوير منطقة ما بين الحرمين الذي يقوم على استحداث مساحة طولية بأبعاد (٢٥٠

× ١١٨م) في المنطقة المحصورة بين المرقدين الشريفين (الأشكال ٥، ٦) وقد تم تنفيذ هذا المشروع الذي أتاح سهولة حركة كبيرة للزائرين على الرغم من بعض التجاوزات الحضرية على تراث المدينة الإسلامي المتمثلة بإزالة بعض الأسواق التراثية التي تعود لفترات عمرانية طويلة وكذلك بعض المساجد والمدارس الدينية وصولاً إلى إنجاز هذا المشروع الذي لا تزال المدينة ومركزها الديني يعيش بكل خصائصه المكانية.[٢٣]

شكل (٥) مركز المدينة بعد عام ١٩٩١

٣: ٢: ٣ : التصميم الأساسي المقترح لغاية ٢٠٣٠

يعد هذا التصميم الأساسي الجديد من ابرز التصاميم الأساسية الذي وضع للمدينة بوصفه قد سبقته العديد من الدراسات والمسوحات الرسمية التي شملت جميع قطاعات المدينة المختلفة ويكمن الهدف من وضعه إعادة توزيع استعمالات

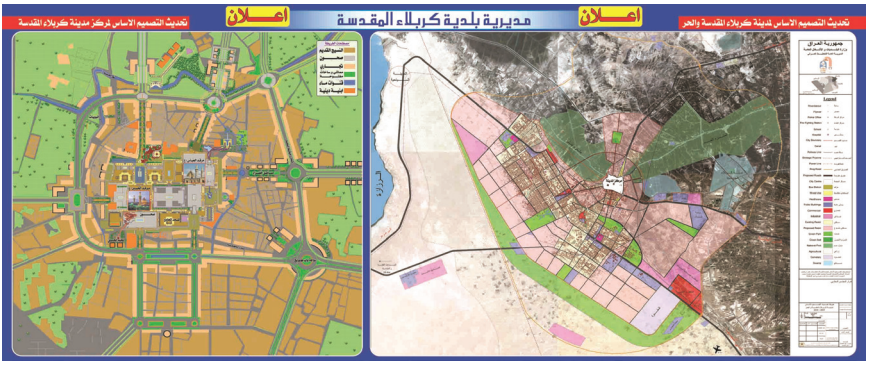

(شكل ٦) التصميم الأساسي المقترح لمدينة كربلاء لعام ٢٠٠٩
المصدر: وزارة البلديات والأشغال العامة، المديرية العامة للتخطيط العمراني
تحديث التصميم الأساسي لمدينة كربلاء المقدسة والحر
المركز العالمي للأبحاث الفنية، ٢٠٠٩، ص٣٧٧

الأرض الحضرية وفقا لمتطلباتها الحالية والمستقبلية من جانب، وحجمها السكاني المتنامي بشكل سريع من جانب آخر الذي قدرته الدراسات الموضوعة للتصميم بحوالي (١،٠٧٨،٢٥٢) نسمة للعام ٢٠٢٢م ويرتفع العدد إلى (١،٤٩١،٤٣٧) لسنة الهدف ٢٠٣٠م (جدول-١).[٢٤]

وقد أضاف التصميم المقترح للمدينة ما يقارب (٣٧٪) من المساحة المطلوبة للتوسع وقد ركز على ثلاثة محاور أساسية للتوسع وهي: (شكل ٩)

١. المحور الغربي (بحيرة الرزازة) الذي من المؤمل أن ينشأ فيه أهم مجمع سكني مستقبلي للمدينة وهو(مدينة ضفاف كربلاء) على الساحل الشرقي لبحيرة الرزازة وقد وضع حجر الأساس له.
٢. المحور الجنوبي والجنوبي الغربي وهو الذي يمثل الامتداد الحضري لقطاع الجزيرة السكني

٣. المحور الشرقي (محور جامعة كربلاء) الذي يمتد باتجاه الجامعة والمناطق الزراعية المتاخمة لها، وكل هذه المحاور الثلاث تضيف توسعا مساحيا وعمرانيا يلبي متطلبات المدينة وسكانها.

السنة	الحجم السكاني المتوقع	المساحة المطلوبة (هكتار)
٢٠١٢	٧٣٧٨٠٢	٧٩١،٤
٢٠١٧	٨٨٩٨٣٩	٧٧٨،٥
٢٠٢٢	١٠٧٨٢٥٢	٠٠٢،٧
٢٠٢٧	١٣١٨٦٨١	٥٦٣،٨
٢٠٣٠	١٤٩١٤٣٧	٦٨٥،٩

جدول (١)
المتطلبات المساحية والمتوقع لسكان كربلاء لغاية ٢٠٣٠
المصدر: وزارة البلديات والإشغال العامة

... الخاتمة ...

يعد التصميم الأساسي ضرورة ملحة في حياة المدينة في جميع مراحلها التاريخية وهو الذي يحدد هويتها المكانية والتخطيطية ويرسم مستقبلها المكاني، فدراسة مراحل وضع التصاميم الأساسية لأية مدينة سوف يكشف بوضوح البنية العمرانية لتلك المدينة وأبعادها التصميمية.

إذ يعد أسلوب التخطيط الحضري علامة مضيئة في سجل تاريخ أي مدينة كونه يضع لمساته العمرانية البارزة في خطط المدن وطرق تنظيمها وهكذا الحال في طبيعة التصاميم والمخططات العمرانية التي وضعت لمدينة كربلاء التي عاشت لأكثر من ثلاثة قرون ضمن الأسوار المحكمة التي سورت بها المدينة، ولكن تعد الإصلاحات التي أجراها الوالي العثماني مدحت باشا عام ١٨٦٩م من أهم الإصلاحات العمرانية في حياة المدينة والمتمثلة بهدم جزء كبير من السور المحيط بالمدينة لإتاحة الفرصة لتوسع عمراني جديد باتجاه الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة والذي بات يشكل الرئة العمرانية لجميع التوسعات اللاحقة التي شهدتها المدينة.

أما في التاريخ الحديث فيعد تصميم مؤسسة دوكسيادس اليونانية من أهم التصاميم الحضرية التي طبقت على المدينة وبجميع مفاصلها الحيوية الذي ربما لا تزال المدينة تعيش ضمن محاوره حتى الوقت الحاضر على الرغم من استنفاذ جميع مخططاته التفصيلية تلاه العديد من التحديثات التي اجريت على مخطط دوكسيادس خلال سبعينيات وثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي والمدينة الان بحاجة ماسة إلى

تصميم أساسي جديد يستوعب جميع متغيراتها المكانية والسكانية والخدمية كونها تتعرض لزيادة سكانية ملحوظة ولديها علاقات إقليمية واسعة بفعل وظيفتها الدينية التي تجذب أعداداً كبيرة من الزائرين والسواح من داخل البلد ومن خارجه.

١) محمد جاسم شعبان العاني، التخطيط الإقليمي (مبادئ وأسس – نظريات وأساليب) دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠، ص١٥٥.

٢) محمد حمادة، تخطيط المدن وتاريخه، القاهرة، ١٩٦٥، ص٩٧.

٣) بهنام أبو الصوف، تخطيط المدن في العراق القديم (المستوطنات الأولى) كتاب المدينة والحياة المدنية،الجزء الأول، بغداد، ١٩٨٨،ص١١٩.

٤) جعفر خليلي، موسوعة العتبات المقدسة، قسم كربلاء، الجزء الثامن، ص١٦.

٥) رياض الجميلي، نمو مدينة كربلاء وتطورها العمراني، مجلة جامعة كربلاء، المجلد الثاني، العدد الثامن، سنة ٢٠٠٤، ص٣٠٩.

٦) علي نوري حسن، تجربة التخطيط المعاصر في العراق، ضمن كتاب المدينة والحياة المدنية، الجزء الثالث، بغداد، ١٩٨٨، ص١٧١.

٧) عقيل نوري الملاحويش، العمارة الحديثة في العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،١٩٨٨، ص٦٤.

٨) علي نوري حسن، المرجع السابق، ص١٧٧.

٩) يوسف يحيى طعماس، التوزيع المكاني للاستعمالات الأرض الدينية في مدينة بغداد، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، (غير منشورة)، ١٩٩٧، ص٢٢.

١٠) ستنلي برون، جاك وليمز، مدن العالم، ترجمة نظمي لوقا، مطبوعات كتابي، الجزء الثاني، القاهرة، ١٩٨٦، ص٥٨٢.

١١) فؤاد اسحق الخوري، التمدين وتخطيط المدن وأدارتها في المشرق العربي، ضمن كتاب التخطيط والتنمية في المنظور الجغرافي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٣، ص٣٤٧.

١٢) خالص الاشعب، مظاهر النمو الحضري المعاصر في العراق، كتاب المدينة والحياة المدنية، الجزء الثالث، بغداد، ١٩٨٦، ص١٣١.

١٣) كامل الكناني، تخطيط المدينة العربية الإسلامية (الخصوصية والحداثة)، مجلة المخطط

والتنمية، العدد ١٥، ٢٠٠٦، ص٣.

١٤) مصطفى عباس الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢، ص١٨٤.

١٥) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين الاحتلالين، ج٧، ص١٧٢.

١٦) خالص الاشعب، مرجع سابق، ص١٣٥.

١٧) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ١، دار الرشيد، بيروت، ٢٠٠٥،ص٢٥٣.

١٨) مؤيد جواد بهجت، مدينة كربلاء (دراسة في جغرافية المدن) رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة عين شمس، غير منشورة، القاهرة، ١٩٨٠، ص٣٠.

١٩) عقيل نوري الملاحويش، مرجع سابق، ص٦٧.

٢٠) Doxiadis, The future of kerbala, Assaclatesconsuiting Engineer Minsitry of planning , Development Board ,Iraq, 1958.

٢١) وزارة التخطيط، مدينة كربلاء دراسة ميدانية تحليلية لواقع الحال، دائرة التخطيط والهندسة، بغداد، ١٩٧٨.

٢٢) رشا مالك نصر الله، اثر تغيير أنظمة مسارات الحركة في استعمالات الأرض في المركز التقليدي لمدينة كربلاء، رسالة ماجستير مقدمة إلى مركز التخطيط الحضري والإقليمي في جامعة بغداد، ٢٠٠١، ص١١.

٢٣) رشا مالك نصر الله، مرجع سابق، ص١٥.

٢٤) وزارة البلديات والأشغال العامة، المديرية العامة للتخطيط العمراني، تحديث التصميم الأساسي لمدينة كربلاء المقدسة والحر، المركز العالمي للأبحاث الفنية، ٢٠٠٩، ص٣٧٧.